مجلـــة بدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الثاني 02 / العدد: الأول 01/ جوان 2020/ ص ص: 118-125

أثر علم الحديث في قراءات محمود شاكر الأدبية (كتاب طبقات فحول الشعراء و كتابه أباطيل وأسمار)

The impact of modern science on the literary readings of Mahmoud Shaker (Book of the Layers of Stallions of Poets and his book Abel and Asmar)

ط.د: هشام مسبل

كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية –جامعة عمار ثليجي الأغواط–

h.messebel@lagh-univ.dz

الهاتف :0697816912

تاريخ الإرسال2020/01/12	تاريخ القبول:2020/03/22	تاريخ النشر 2020/06/25

ملخص البحث

يعد **محمود شاكر** من الأدباء واللغويين المصريين الذين كان لهم حضور مميز في الساحة العلمية، وكان تميزه عن غيره في كونه اتخذ لنفسه منهجًا يعالج به كتب التراث والقضايا المعصرة له استنبطه من اطلاعه الواسع على فنون الأدب واللغة وغيرها من الفنون العلمية الأخرى كعلوم الحديث والتفسير والتاريخ والفقه وأصوله، وكان له أيضًا رؤية خاصة لما يستعمله من المصطلحات العلمية الشائعة في الساحة الأدبية بين أقرانه، فقد استعمل مصطلحي القراءة والشرح واصفًا عمله على كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام بدل التحقيق، فمن اطلاعه على مختلف الفنون اتخذ لنفسه منهجًا خاصًا طبقه على أعماله الأدبية والفنية، وكان من أبرز الأدوات الإجرائية التي ميزت أعماله آلية معالجة السند والمتن، التي اعتمدها علماء أصول الحديث في معالجة صحة نسبة النصوص لأصحابها أو عدم صحتها، وطبقها في أكثر أعماله العلمية كقراءته لكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي وكتابه أباطيل وأسمار في رده على الأديب لويس عوض.

الكلمات المفتاحية: مصطلح الحديث، القراءة، محمود محمد شاكر، طبقات فحول الشعراء، أباطيل وأسمار.

Abstract:

Mahmud Shakir is one of the Egyptian linguists and writers who have left a great impact on the scientific scene. What makes him prominent is his own method of studying both traditional and modern books; a method that he coined for himself after having studied widely many literature and language sciences in addition to others sciences like Hadiths, Tafsir(explanation of Quran) and history. Also, he used to have a special vision on some scientific terms used for literary works by some writers. Thus, he used the term "reading" and

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"explanation" instead of "books editing" "on describing his work on the "Different Levels of Great Poets" written by Ibn Salam. In addition, one of his operational tools was his way of shedding light on Sanad(series of men who recited the saying) and Matn(the saying itself) to prove authenticity. That way was used in most of his works like his "Reading" on "Levels of Great Poets" by Ibn Salam or in his book "Nulls and Fakes" as he responded to Louis Awadh.

Key words: Hadiths science, Levels of Great Poets, Mahmud Shakir,Nulls and Fakes and Reading.

أولا: تحديد المفاهيم

بما أن البحث يتعلق باستعمال علم الحديث في أعمال محمود شاكر من خلال تتبع قراءاته وكتاباته فلا بد من تحديد المفاهيم المرتبطة بهذه المصطلحات في هذا المبحث.

1- تعريف علم الحديث

لغة: العلم مصدر الفعل عَلِم والعلم كما جاء في لسان العرب نقيض الجهل[1] وكذلك يأتي بمعنى المعرفة و لعل هذا المعنى الأخير أقرب لما يقصد من الكلمة عند إضافتها لكلمة الحديث، أي معرفة الحديث.

اصطلاحًا: علماء الحديث يقسمون هذا العلم إلى قسمين كبيرين يختص كل واحد منها بجانب من الضبط و المعالجة والتوثيق والتحرير للآثار النبوية والاستدلال بها واستنباط الأحكام منها، وهذان القسمان هما :

- علم الحديث دراية وهو«علم بقواعد يعرف بها أحوال الراوي والمروي من حيث القبول والرد»[2] أي أنه يبحث في السند والمتن ليحكم على المنقول إما بالتصحيح أو التحسين أو التضعيف وبالتالي ينتهي إلى الحكم على المنقول بالرد أو القبول، ويطلق عليه أيضًا، علم مصطلح الحديث أو أصول الحديث، وهو موضوع بحثنا هذا.

- علم الحديث رواية علم يبحث عما ينقل على النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وأحواله فهو يبحث فيما يُنْقَل لا في النقل، وعليه فإنه يتناول الآثار النبوية بشرحها واستنباط الأحكام الشرعية المختلفة منها، والاستدلال بها في المجالات العلمية واللغوية والأدبية.

2- القراءة عند محمود شاكر

القراءة لغةً : القراءة مصدر الفعل قَرَأَ وجاء في لسان العرب: «قرأتُ الشيء قرآنًا، جمعته وضممت بعضه إلى بعض»[3] أي أن القراءة فعل تجميعي شامل لكل شيء يقبل الضم والجمع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اصطلاحًا: كان لمحمود شاكر رؤية خاصة لما يستعمله من المصطلحات العلمية الشائعة في الساحة الأدبية بين أقرانه، فقد استعمل مصطلحي القراءة والشرح واصفًا عمله على كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام، وما جاء بعده من أعماله حيث قال مبينًا منهجه في استعمال هذا المصطلح في كتاباته قائلاً: «وكذلك نبذت أيضًا مستنكفًا لفظ (حقق، وتحقيق ومحقق) وما يخرج منها نبذًا بعيدًا دَبْرَ أذني لما فيه من التبجح والتعالي والادعاء»[4] ثم يبين استبداله مصطلح (حقق) بلفظي قرأ وشرح حيث يقول: «واقتصرت على قرأ»[5] ويشرح سبب اقتصاره على هذا المصطلح ليضع أساسًا لمنهجه في معاملته للمصطلحات العلمية في جميع كتاباته وأعماله، فيقول:«لأن عملي في كل كتاب لا يزيد على هذا: أن أقرأ الكتاب قراءة صحيحة وأؤدّيه للناس بقراءة صحيحة، وكل ما أعلّق به عليه ، فهو شرح لغامضه، أو دلالة للقارئ من بعدي على ما يعينه على فهم الكلام المقروء، والاطمئنان إلى صحة قراءته وصحة معناه، لا أكثر ولا أقل إن شاء الله»[6]

إذن فالقراءة عند محمود شاكر تتلخص في عدة عناصر هي :

- القراءة ليست هي التحقيق، بل التحقيق جزء من القراءة.
- القراءة تأدية صحيحة للمقروء لتصل إلى القارئ.
- القراءة شرح للغامض المستغلق.
- القراءة تدريب للقارئ على فهم الكلام.
- القراءة السطحية ليست هي القراءة التي من أجلها وجد النص.
- القراءة الصحيحة منهج يعين القارئ على الاطمئنان إلى ما يقرأه ويصحح له معناه.

فمن خلال ما وضحه محمود شاكر من شرحه لكلمة(قرأه أو القراءة) وإعراضه عن مصطلح التحقيق، يشير إلى منهجه الذي اتخذه في معالجته للكتب ودراستها، «بل لعله كان يقصد بها ما درج عليه سلفنا في تحقيق العلوم عندهم، وإثبات إسنادها إلى قائليها، وعدم التلفظ بشيء حتى يعرف من أين جاء به ؟ وماذا يقصد به؟ لا ما يقصده الباحثون من أعمال التحقيق التي تكاد تقتصر على المقابلة بين الأصول فقط»[7]

ثانياً: آليات مصطلح الحديث في قراءة محمود شاكر

لقد كان منهج أهل الحديث أو ما يسمى بعلم الجرح والتعديل في نسبة الأقوال إلى أصحابها، من أدق المناهج في هذا الميدان حيث أنهم وضعوا قواعد دقيقة وصارمة في معالجة السند والمتن للوصول إلى صحة نسبة المنقول إلى صاحبه أو عدم صحته «وهذه القواعد تمثل الأساس المتين للإتقان والإحكام والصحة والقبول والرد»[8] وكما ذكرنا آنفًا أن محمود شاكر اتخذ (القراءة) منهجًا في معالجة التراث شرحًا وتعليقًا، وسنستظهر فيما يأتي مواطن هذه المعالجة، لصحة نسبة الأقوال والأعمال إلى أصحابها،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد اتخذ هذا المنهج مستنكفًا عن المناهج التي كانت سائدة في وقته بين أقرانه مما يسمى بالتحقيق، حيث يعتبر القراءة والتذوق منهجًا متكاملاً يدخل تحته عمل التحقيق «ولكنه على كل حال قد وجّهَ إلى أعدل المناهج وأقومها في تحقيق النصوص»[9]، ويحتاج التعرف على أثر مصطلح الحديث في كتابات محمود شاكر الأدبية، إلى تقسيم آلية المعالجة إلى قسمين، حيث يدرس القسم الأول السند الذي يمكن أن نعتبره دراسة سياقية لأنه يتناول سلسلة الرجال الذين نقلوا الأثر عن صاحبه ليتم إثبات صحة النقل أو عدمها، والقسم الثاني يهتم بمعالجة المتن، الذي يمكن أن نعتبره دراسة نسقية، حيث يقوم بتحليل عناصر المنقول (أبيات شعرية أو نص نثري أو أثر أو كتاب أو غيرها) لتصحيح نسبتها لصاحبها أو نفيها عنه، ومن خلال ما يأتي نستعرض مواطن استعماله لهذه الآلية الإجرائية.

1- آلية تحليل السند

السند كما جاء عند أهل المصطلح هو رجال الحديث الذي جاء المتن عن طريقهم فهم السلسلة الموصلة إلى من نُقل عنه، لذلك يمكن اعتبار هذه الآلية معالجة سياقية.

أ- طبقات فحول الشعراء

من بين الأعمال المتقنة والضخمة التي عني بها محمود شاكر، قراءته لكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، حيث ظهرت آلية تحليل السند في إكمال ما سقط من هذا الكتب حين كان مخطوطًا.

بعدما ضاع المخطوط الذي كان بين يدي محمود شاكر في صباه، وبعدما نقل نصف ما يوجد فيها على نسخة من طبعة عجان الحديد لنفس الكتاب كانت لديه، من يومئذ فكر في جمع ما في كتاب الأغاني من أسانيد أبي الفرج عن أبي خليفة الجمحي، الذي كان يروي كتب خاله محمد بن سلام[10] ليصلح كل ما فاته من نقل كل ما في المخطوطة الضائعة، لذلك جمع أسانيد أبي الفرج الذي كان ينقل عن ابن أخت ابن سلام، أبي خليفة الجمحي، وقد وصل ما رواه عنه إلى خمس وخمسين صورة أو أكثر مختلفة الألفاظ، وقد تبين له أن ما رواه أبي الفرج في تراجم الشعراء الذين ذكرهم ابن سلام في كتابه موجود أكثره فيما بقي من أوراق هذه المخطوطة[11]، لكن بعد ذلك بالمدارسة اختار منها ثلاثة عشر إسنادًا، و أن هذه الأسانيد راجعة إلى ثلاث صور في الحقيقة وهذه هي بعبارة أبي الفرج في أغانيه:

- ذكر محمد ابن سلام في كتاب الطبقات: فيما أخبرنا به أبو خليفة.
- "أخبرنا" أو "أخبرني" أو (كتب إلي) أبو خليفة في كتابه إليّ أو إلينا، أو(مما أجاز لنا روايته عنه) من حديثه وأخباره، مما ذكر عن ابن سلام.
- أخبرني الفضل ابن الحباب أبو خليفة، حدثنا، أو قال (محمد ابن سلام)[12].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مما ذكر آنفًا يظهر جليًّا آلية معالجة هذه الآثار بدراسة أسانيدها للوصول إلى تكملة ما سقط من المخطوط أو إتمام ما نقص منه، فهذا موضع يبين الدقة والإحكام في عملية القراءة التي يراها محمود شاكر الأصلح و الأكثر دقة في منهجه التذوقي الذي اعتمده في دراسته العلمية أو قراءته وشرحه.

ب- كتابه أباطيل وأسمار

في هذا العنصر ننتقل إلى موطن آخر يظهر فيه استعمال وتطبيق محمود شاكر لمنهج المحدثين في دراسة الأسانيد، حيث أخضع مقولة ذكرها لويس عوض في كتابه على هامش الغفران في معرض ذكر سيرة أبي العلاء المعري، يقول محمود شاكر ذاكرًا كلام لويس: «ثم تجيء بلية أخرى أكبر من أختها إذ يقول(...وقد تعلم المعري في اللاذقية كما تعلم في أنطاكية ففيما روى القفطي والذهبي أنه نزل بدير فيها...)إلى آخر ما نقلته آنفًا»[13] ثم بدأ في ذكر الكتب التي ترجمت لأبي العلاء المعري ورتبها ترتيبًا تاريخيًا، فمنهم من عاصر المعري كالثعالبي (350هـ/429هـ) والخطيب البغدادي (392هـ/463هـ) والباخرزي (..../467هـ) ولم يذكر أي واحد منهم هذه القصة مع أنهم أشاروا إلى مقالة بعض الناس في إلحاده[14] ثم انتقل لمن بعدهم كالسمعاني (506هـ/562هـ) وابن الأنباري (513هـ/577هـ) وابن الجوزي (510هـ/597هـ) وهم لم يذكروا هذه القصة أيضًا مع أنهم أساءوا القالة في دين أبي العلاء.

يقول محمود شاكر «ثم يأتي القفطي الذي ذكره لويس عوض نقلاً عن الدكتور طه حسين، وبين مولده و وفاة أبي العلاء مئة وعشرون سنة، فهو أول من يعقد في كتابه إنباه الرواة(83/46:1)فصلاً طويلاً في ترجمة أبي العلاء»[15] فهنا يظهر أن السند قد انقطع بين القفطي وأبي العلاء كما استنبطه محمود شاكر من قراءة السند لأن الخبر الذي ذكره القفطي لم يسنده إلى راوٍ.

ثم يذكر شخصًا آخر يأتي مع القفطي المصري وهو ياقوت الحموي (574هـ/626هـ) «وهو مؤرخ متمكن شديد التحري وهو شامي حموي قريب من ديار شيخ المعرة خبير بأخبار أهل الشام فيعقد في كتابه إرشاد الأريب ترجمة لأبي العلاء مطولة جدًّا (162:1/ 216) فلا يذكر هذا الخبر»[16] وهنا يشير محمود شاكر مرة أخرى أن هذا الخبر منقطع السند إلى المعري إذ لو كان موجودًا لنقله ياقوت الحموي في ترجمة أبي العلاء وهو المشهور بدقة التحري بل أكثر من ذلك أنه من أهل بلدة أبي العلاء فهو أدرى بأهل الشام من غيرهم، بل إن الكثير من المؤرخين الذين يذكرون أبا العلاء بالسوء، حتى رماه بعضهم بالكفر ثم لايذكر أحد منهم هذه الحكاية[17].

ثم يُجمل القول في هذا الخبر ليلخص لنا عمله على الحكاية التي قيلت في شيخ المعرة إذ يقول: «وبيّنٌ جدًّا من هذا السياق المختصر لتسلسل القصة التاريخي أنه لم يذكره ممن ترجم لأبي العلاء سوى تسعة من ثمانية وعشرين وأنه قد انقضى ما بين الثعالبي إلى ابن الجوزي، أي إلى سنة 597هـ، مابين معاصرين لشيخ المعرة وغير معاصرين، وإلى ما بعد وفاة أبي العلاء بأكثر من مئة وخمسين سنة، والخبر غير معروف، مع إغراق بعضهم في النيل من شيخ المعرة ودينه.»[18]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مما ذكر آنفًا نخلص إلى أن المعاصرين للمعري لم يذكروا الخبر وكذلك من جاء بعدهم ممن هم حدثاء عهد بمن عاصر المعري لم يذكروا الخبر مع طعنهم في دين المعري، ليأتي الخبر بعد وفاة المعري بأكثر من مئة وخمسين سنة، بعد ذلك أخذ بالخبر كل من جاء بعد القفطي (568هـ/646هـ) فظاهر جدًّا انقطاع السند وهذا كفيل بعدم صحة الخبر كما وضحه محمود شاكر باعتماده على دراسة أسانيد الخبر.

2- آلية تحليل المتن

المتن هو ما انتهي إليه السند، أي أنه هو المنقول عن طريق سلسلة من الرجال، ويقال عنه كذلك، النص أو الخبر أو الأثر سواء أكان المنقول نثرًا أو شعرًا.

أ- طبقات فحول الشعراء

من أهم كتب النقد والأدب التي أخرجها محمود شاكر من ركام المكتبة العربية لينفض عنها غبار السنوات المتراكمة، يعد هذا الكتاب من نفائس كتب التراث العربي النقدي، أخرجه إلى أيدي الناس ليستفيدوا منه أولاً، وليستفيدوا من تعليقاته عليه ثانيًا، حيث أخرج الطبعة الأولى منه سنة 1952م عن دار المعارف بمصر ثم أعاد قراءته وطبعه مرة أخرى طبعة المدني سنة 1974م، وقد دارت قراءته لكتاب الطبقات في فلك عدة نقاط من أهمها، عنوان الكتاب، حيث ثارت عليه بعض الأقلام العلمية بالعديد من الانتقادات بسبب هذه النقطة.

- عنوان الكتاب

لقد ألف الناس قبل إخراج محمود شاكر لكتاب طبقات فحول الشعراء، ألفوه بعنوان طبقات الشعراء، لذلك ثارت على إثباته للفظ (فحول) عدة انتقادات علمية مؤسسة، غير أنه تصدى لهذه الانتقادات بإثبات ما ذهب إليه بأدلة من صلب الكتاب أو بما يسمى عند أهل المصطلح بالمتن، وكان أول من انتقد هذا التعديل في العنوان السيد أحمد صقر، ويقول محمود شاكر بهذا الصدد:«والذي أحدث لهؤلاء الراجمين هذا النقب الذي دخلوا منه، هو صديقي وأخي وعشيري الأستاذ السيد أحمد صقر، كان ذلك في سنة 1952م حين قال إني غيرت اسم الكتاب، والحقيقة أني عَدَلْتُ من اسم مشهور إلى اسم مكتوب على المخطوطة التي كتبت في سنة 310هـ أو قبل ذلك بقليل»[19] بعد ذلك انطلق في إثبات ما ذهب إليه في تعديل عنوان الكتاب لا تغييره، حيث وظف إجراء معالجة المتن لدي المحدثين على إثبات هذه الجزئية المهمة ألا وهي إثبات لفظ (فحول) بالرجوع إلى كلام المؤلف نفسه في كتابه ليبين صحة ما ذهب إليه من أن عنوان طبقات الشعراء لا يطابق موضوع كتاب ابن سلام تمام المطابقة، لأنه لم يستوف فيه ذكر قدرٍ وافٍ من شعراء العربية بل ذكر منهم 114 شاعرًا لا غير، والذي أغفله من ذكر كبار شعراء العربية أضعاف أضعاف ما ذكر[20]، فهذا دليل دامغ على قصور العنوان المألوف للكتاب على تأدية ما يحويه الكتاب، إذ لو كان العنوان قد استوفى جميع طبقات الشعراء لأقصى من دائرة الشعر جميع الشعراء ماعدا الذين ذكروا في الكتاب، بيد أن محمود شاكر لم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقف عند هذا الدليل بل زاد عليه من الأدلة ما يقوي حجته بأن الدليل السابق دليل استنباطي من عنوان الكتاب(طبقات الشعراء)، لكنه أراد أن يقوي حجته أكثر فذكر دليل آخر من كلام المؤلف ليستدل به على سقوط لفظ (فحول) من النسخ التي أخرجها يوسف هل وعجان الحديد، فقال:«الثاني أني رأيت ابن سلام نفسه قد أوجدنا اللفظ المطابق لمعنى ما أراد في كتابه (أعني لفظ الفحول، الذي حيرني وجوده بخط يدي)، إذ قال(ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرمين الذين أدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم[...]فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرًا)»[21] فقد استوقف لفظ(فحول) محمود شاكر الذي ذكره ابن سلام، ليكون دليلاً قاطعًا على صحة عدوله عن العناوين المتداول بين الناس إلى عنوانه الذي اختاره أن يكون الأجدر والأصح، غير أن هذا الدليل لم يخرج محمود شاكر من حيرته خروجًا سهلا حتى ظل يلتمس بابًا آخر لتقوية حجته وإزالة حيرته، وقد فعل بعد سرده لهذين الدليلين في مقدمة قراءته لكتاب طبقات فحول الشعراء الذي سماها-أي المقدمة-برنامج طبقات فحول الشعراء.

لقد استثمر محمود شاكر قراءاته المختلفة في تكوين آليات خاصة لتحليل الأعمال العلمية والأدبية، وخاصة آليات علم مصطلح الحديث التي تعد من الإجراءات الدقيقة في معالجة الأسانيد والمتون، والحكم عليها حكم قطعي ينفي عنها الشك والظن اتجاه صحة نسبتها أو صحة وجودها وعدمها، وكانت هذه المعالجة تطبيقية أكثر منها تنظيرية في جميع أعماله القرائية.

الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب،بيروت،لبنان،ج2،ص870.

[2] محمد بن صالح العثيمين، مصطلح الحديث، مكتبة العلم، ط1، القاهرة، مصر،1994م،ص5.

[3] المرجع السابق،ج3،ص42.

[4] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء،ج1،قرأه محمود شاكر، دار المدني،جدة،السعودية،ص158.

[5] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء،ج1،قرأه محمود شاكر، مرجع سابق،ص158.

[6] المرجع نفسه،ص158.

[7] محمود إبراهيم الرضواني، شيخ العربية وحامل لوائها، مكتبة الخانجي،مصر،1995م،ص367.

[8] محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي،ط1،مصر،1984م،ص91.

[9] محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي،مرجع السابق،ص118.

[10] المرجع نفسه،ص48.

[11] نفسه،ص48.

[12] محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي،مرجع سابق،ص48.

[13] محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي،ط3،مصر،2005م،ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[14] المرجع نفسه،ص25-27.

[15] محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار،مرجع سابق،ص27،28.

[16] المرجع نفسه،ص28.

[17] نفسه،ص28.

[18] م-ن،ص30.

[19] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء،ج1،قرأه محمود شاكر، مرجع سابق،ص10،11.

[20] المرجع نفسه،ص137.

[21] مرجع سابق،ص138.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب،بيروت،لبنان،ج2،ص870.

2- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه محمود شاكر، دار المدني،جدة،السعودية،1974م.

3- محمد بن صالح العثيمين، مصطلح الحديث، مكتبة العلم،ط1،القاهرة، مصر،1994م.

4- محمود إبراهيم الرضواني، شيخ العربية وحامل لوائها، مكتبة الخانجي،مصر،1995م.

5- محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي،الطبعة1،القاهرة،مصر ،1984م.

6- محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي،ط3،مصر،2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com